(القاعدة الرابعة) قد تُختم بعض الألفاظ الاعجميَّة بأواخر لا تُشبه اواخر كلمنا او يقلّ ورود مثلها عندنا . من ذلك انتهاء الكلمة بهاء مرسومة (وهي غير هاء التخصيص) ومثل هذه الاسماء لا تأتينا الَّا من التركيَّة او الفارسيَّة وكان العرب الأقدمون يُبدلون هذه الهاء من الجيم والقاف او الكاف كما سبق الإلماع الى ذلك . الَّا انهُ لمَّا كان في لفظ الهاء الخاتمة للاسماء الفارسيَّة بعض الإشمام من الكَّاف الفارسيَّة في سابق الزمن واليوم قد تركهُ الفرس فما علينا الآن الَّا ان نجعل هذه الهاء تاء لا بل وقد سبقنا الى هذا العمل العرب انفسهم فقالوا : بُوطَة في بُوتَهْ (وان قالوا ايضاً بوتقة وبودقة) . وبالة في بَالهْ . وخوذَة في خُوذَهْ . ودَسْكَرَة في دَسْتَكَرَهْ . وطنبورة في دنبَرهْ . وطنفسة في تنفسه . الخ الخ . وعليهِ فلنقل الآن بَفْتة واصلها بافته بالفارسيَّة وهي نوع من الثياب . وهكذا سائر الألفاظ الفارسيَّة او التركيَّة الاصل الحديثة الدخول في لغتنا

واماَّ الكلم الإفرنجيَّة التي نرسمها بهذه الهاء العربيَّة فهي التي تُختم بـ « et » أوْ « é » او « e » او « ie » وبعض البلاد او المدن او اسماء الاناث المنتهية بحرف e الغير المتحرّك . فمثال ما كان مختوماً بـ « et » brochet لنوعٍ من السمك فاذا عرَّبناهُ قلنا بروشة و buffet لمائدة مفتوحة للجميع فاذا عربناها قلنا بُفَّة و fouquet لنوعٍ من الطير فاذا عرَّبناه قلنا فُوكَة وهكذا الخ (التتمَّة لعدد آخر)

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ

الفصل الرابع عشر

ان الله يحيي ويميت (تابع)

فخرج راسيوس والقلب مفعم سروراً وقبل ان يتوارى دار الورود عن نظره التفت اليها مرَّة اخيرة كأنهُ يريد ان يطبع رسمها في خيالهِ ويصون في ذاكرتهِ ما ذاقهُ من السعد بمشاهدة ربَّة تلك الدار

امَّا يهوديت فانَّ الرجاء بقرب نجاة والدها انعش قواها فتبعت من وراء نافذة حجرتها الضابط عند خروجهِ وهي تودُّ لو امكنها ان تسير معهُ للاقاة صموئيل والدها. ثم امرت الخدم والعبيد بان يفرغوا كنانة الجهد في تنظيف القصر وتهيئتهِ وتزيينهِ لاستقبال والدها. فكنتَ ترى الخشم والموالي في ذهاب واياب وطلوع ونزول لإعداد الغرف وتأثيثها بانفس الامتعة. وكان صغار العبيد من اليونان كأنهم النحل خرجت من خليَّتها للعمل في احد أيام الربيع يطوفون الجنينة وهم يتغنَّون فيقطفون الزهور ويضفرون بها الاكاليل ويتَّخذون منها النقوش البديعة والقلائد البهيَّة فيجعلونها على باب الدار ويجدلونها على طرائق هندسيَّة ويفرشون بها ساحة البيت. وارسلت يهوديت قوماً يستدعون نطس الاطبَّاء من صيداء وطرابلس ليصرفوا الهمَّة في صحَّة والدها الذي اعلمها السجَّان بولس بتوعُّكها

وكانت الفتاة تتولَّى بنفسها تدبير البيت وزينتهُ تنشَّط البعض على العمل وتبدي رأيها في احكام هندسة الدار وهنداما فتنقل وتغيِّر وتحسن حتى صار كل شيٍ طبق مرامها. وكانت مع ذلك تترصَّد كل حركات الشارع المجاور لبيتها فتلقي المرَّة بعد المرَّة نظرها اليها لعلَّها ترى الضابط قادماً مع ابيها. ولفروغ صبرها كانت تستطيل الساعات فتراها اطول من أيام الصوم. وكانت تحوم حول الساعة الرمليَّة التي في وسط حديقتها فتحركها بيدها كأنها تقرِّب بذلك وقت عَوْد ابيها

وربَّما كانت تتَّبع بفكرها كلَّ حركات راسيوس فتراهُ تارةً داخلاً الى سجن صموئيل مبشِّرًا لهُ بالنجاة وتارةً عند طيطس ليشفع في السجين وحيناً ترى اباها خارجاً من سرب الاسرى شاكرًا لمخلِّصهِ . . . الَّا ان هذه الافكار التي كانت تشغل عقل يهوديت لم تورثها غير السجس والانزعاج. وبقيت على ذلك الى رأد الضحى دون ان ترى لراسيوس اثرًا . . . فقلق بالها وزاد بلبالها ولم تدرِ سبب ذاك التأخير. وكانت تتعجَّب من الضابط كيف انهُ لم يرسل اليها احد جنودهِ ليعلمها عن علَّة ابطائهِ. ثم فكَّرت في نفسها انَّ راسيوس يكون دخل على طيطس فسُرَّ بهِ القائد وامسكهُ عندهُ. فخمَّد هذا الفكر لظى قلبها

ثم مرَّ ظهر النهار وعادت الافكار تساور قلب يهوديت فلا تدري معنى تأخُّر الضابط . . . أفيكون خدعها ؟ . . . كلاَّ انَّ راسيوس اكرم محتدًا واشرف نفساً من

ذلك . . . او يكون حبط مسعاهُ فخجل ان يأتي ويقرّ بخيبة آمالهِ . . . لكن كيف يأبى طيطس شفاعة رجلٍ فداهُ بنفسهُ . . .

ثم ارادت يهوديت ان ترسل بعض عبيدها ليطلعها على صحّة الخبر لكنّها توقّفت عن ذلك خوفًا منها بان تزيد الامور ارتباكًا وتُلقي اباها في اهوالٍ جديدة فلم يبقَ لها الّا الاعتصام بحبل الله واللواذ بالصلاة بيد انّها كانت ترى قلبها يابسًا فلم يمكنها ان تكرّر شيئًا آخر غير قولها : اللهمّ ارحم نفسي ! تحنّن على ابي

وكانت وكلت الى عبيدها بان يصعدوا سطح الدار ويتجسّسوا لها الاخبار فيسرعوا الى إعلامها . لكنّ حيّ اليهود كان يومئذٍ اشبه بقفرٍ لا يُرى فيهِ نابسٌ وكلّ اهلهِ قد تحصّنوا في بيوتهم خوفًا من ان يحلّ بهم غضب القائد الظافر . فلمّا صار المساء وكاد قلب يهوديت يتفطّر شعاعًا اذا بصوت اقدام سُمع على باب دار الورود . فصرخ الراقب : اتى الضابط

الّا انّ الضابط كان وحدهُ فدخل على يهوديت التي كاد يُغمى عليها اذ لم ترَ معهُ اباها . فرقّ لحالها راسيوس واجهش بالبكاء ثم كبح حزنهُ واخذ يقصّ على يهوديت ما قاساهُ في سبيلها وسبيل والدها قال :

« لمّا خرجتُ من دار الورود في هذا الصباح سرتُ توًّا الى الملعب وأردت ان ادخل على السجناء في دهليزهم المظلم . ولم اشكّ في ان الشُّرط اذا رأوا شارات رتبتي فتحوا لي دون عائق . لكني اذ حاولتُ الدخول اشهر الحرس سيوفهم صارخين : « قِفْ مكانك » . فسألتُ ما الامر فاجابوني انهُ لم يُسمح لاحد مطلقًا في الدخول ما لم يأت باجازة ممضاة بيد القائد الاكبر . وذلك انّ احد النصارى اسمهُ بولس كان دخل تلك الليلة بالحيلة الى سجن الاسرى واراد ان يساعد بعض اهل نحلتهِ على الفرار فقُبض عليهِ ثم امر طيطس بحجز ايّ كان عن الدخول دون رخصة منهُ

« فامضّني هذا القول لكني هممتُ من ساعتي بالذهاب الى منزل طيطس نفسهِ واتا على يقين انّ القائد لا يردّ طلبتي . فلمّا بلغتُ مقامهُ وجدت كل الابواب مقفلة فطلبتُ من الحجّاب ان يستأذنوا لي بالدخول فابوا واعلموني انّ طيطس مصاب بالحمّى وقد امر بان لا يرخّصوا لاحد بالدخول عليهِ . فكتبتُ بطاقةً ليوصلوها للقائد فلم يرض احد بنقلها فالححتُ على رئيس الحجاب ووعدتهُ المواعيد الطيّبة فكانت غاية ما نلتهُ منهُ

انهُ يسلّم البطاقة الى القائد عنـد انتهاء نوبة الحمّى . ولعلَّ النوبة تطول الى يوم الالعاب

« فاردفتُ قائلًا : « واذا طبَّق المرض على طيطس ألا يؤخرون الألعاب . فاجاب كبير الحجّاب : « كلَّا لان ابن ڤسپسيانوس لا يريد الَّا معاقبة هؤلاء العُصاة امكنهُ ان يحضر الألعاب او لم يحضرها »

وكانت يهوديت وهي تسمع هذا الكلام جامـدةً حائرةً لا تدري اهي نائمة او يقظى . فلمَّا انتهى الضابط من حديثهِ هطلت دموعها وتصاعدت زفراتهـا . فاخذ راسيوس يسلّيها وهو يمنّيها بالآمال الحسنة ويقسم بالآلهة وعلى شرفهِ انهُ لا يدع اباها يذهب فريسة الوحوش فيفديهُ بنفسهِ اذا دعا الامر الى ذلك

فكان يرتاح قلب يهوديت الى هذا الكلام لكنَّها لم تعرف كيف راسيوس يمكنهُ ان يقوم بوعده وقد سُدَّت في وجههِ كلّ المسالك . ولم يخطر على بالها انَّ هذا الضابط الكريم والشهم البطل كان مستعـدًّا على ان يأتي عملًا شريفًا حريًّا بان يُرقم على صفحات التاريخ فيخلّد لهُ ذكرًا ابديًّا

ولمَّا مدَّ الليل رواقهُ اعتذر الى يهوديت باشغالهِ العسكريَّة وودَّعها وهو يكرّر لها قسمهُ بانها ترى اباها في غد . ولمَّا خرج اوصى دوروتيا بان تجتهد اوجاع سيّدتها وتسقيها الادوية المسكّنة ليعيد الليل لها قواها وتُعدّ كلّ شيء لرجوع صموئيل

*

خرج راسيوس وسرُّهُ دفينٌ في قلبهِ دون ان يُعلم بهِ يهوديت . وانَّما الحبُّ يقوى على الموت وربَّما حمل بالانسان الى اوج الكرم والايثار . فعاد مسرعًا الى بيت لوسيليوس صديقهِ حيث كان محتلًّا كضيف امَّا لوسيليوس فكان اذ ذاك غائبًا ذهب الى لبنـان لبعض شؤونهِ . فاقفل راسيوس باب غرفتهِ وكتب ليهوديت هذه الاسطر :

« ان لم تعودي ترَيني فلا تبحثي عمَّا جرى لي . فانَّ قصوى بغيتي ان تعيشي واباكِ في الرغد والهناء . واعلمي انَّ سعادتك احبُّ اليَّ من حيـاتي فبكل طيب قلب ابذل هذه الحياة دونك لتنالي السعد والطمانينة . وان كنتُ بعد ذلك لا ابرحُ من بالك فاعدُّ ذلك اعظم جزاء الهكِ الذي اؤمل من رحمتهِ وحنوهِ ان يجمعنا يومًا في دار البقاء حيث

لا اراكِ ثانيةً تذرفين الدموع. فالوداع الوداع اني اسبقكِ وفي قلبي مطبوع ذكركِ لا يمحوهُ الموت نفسهُ...» راسيوس

وكان الضابط البطل ألحق باسمهِ ذكر حبّهِ لها فكتب اوّلًا «محبُّكِ راسيوس» ثم محا هذه الكلمة ليكون ايثارهُ خالصًا ولا يمتنّ على يهوديت بخدمتهِ لها ولابيها. وقبل ان يطوي الكتاب عاد الى مطالعتهِ فجرت عليهِ دمعة من عينيهِ فمسحها ولام نفسهُ على ضعفهِ ثم ختم الكتاب وسلّمهُ الى عبدهِ قائلًا:

ان لم ترني بعد يومين في مساء يوم الالعاب فبلّغ هذه الرسالة الى اصحاب دار الورود

وفي اثر ذلك قام راسيوس ودبّر حوائجهُ كأنهُ يتأهّب لرحلة بعيدة وختم وصيّتهُ الاخيرة. وكان اوصى فيها ليهوديت بسهمَين من سهام الشرف كان حظي بهما في حرب الفرس واضاف اليهما غصنًا يابسًا من الزيتون. وهو الغصن الذي قدّمتهُ لهُ يهوديت يوم التقت بهِ اوّل مرّةٍ (راجع المشرق ٦ : ٧٨) فاهدتهُ اياهُ لفروسيّتهِ قائلةً: «لو كان بيدي اكليل من الغار لوهبتهُ لك» وكان راسيوس اودع هذا الغصن في حُقّة وجعلهُ في جملة عقائلهِ الى ذاك العهد

ثم اوضح ايضًا عن كل نيّاتهِ. ولم يدع حتى دفنهُ دون ان يفصّل هيئتهُ. فاوصى بان ينقل جسمهُ الى رأس بيروت حيث مغارة الحمام ليدفن هناك قريبًا من البحر وتُجعل على قبرهِ صفيحة بسيطة من الرخام تُرسم عليها صورة يدين متصافحتين تحتهما اسمهُ مع هذا الشعار: «انَّ الحبَّ لأقوى من المنون»

وكان راسيوس يدبّر كل شيء بربط جأش وهدوّ عجيبين كأنهُ يُعنى بأُمور غيره أجل انهُ كان يعلم انَّ طيطس يحبُّهُ ولا يرضى بموتهِ. لكنَّهُ لم يعلم أيستطيع ان يواجه هذا القائد قبل الالعاب وهو محجوبٌ طريح الفراش. فمن ثم اعدَّ نفسهُ ليموت موت الصيد مجهولًا خاملًا مع اسرى اليهود

ثم تردّى بردائهِ العسكريّ ولبس فوقهُ بردةً سوداء حجبهُ بها وخرج في جوف الليل سائرًا الى الثكنة التي اختارها طيطس لمقامهِ. فاجتاز وسط الحرس دون يعترضهُ احد ثم طلب كبير الحجّاب فسألهُ عن حالة المحموم. فاخبره انَّ الحمّى خفّت عند المساء فاشار الاطبّاء عليهِ بان يخرج الى حدائق بيروت ليروّح النفس. فخرج متنكّرًا

دون ان يُعلم احدًا اين يذهب لئلّا يزعجهُ الثقلاء

— وهل سلّمتهُ بطاقتي

فتلجلج الحاجب ونظر راسيوس الى منضدةٍ هناك فرأى بطاقتهُ وفهم انهُ نسيها. فاحسَّ بالغضب قد كاد يأخذ منهُ ماخذهُ لكنَّهُ كبحهُ وتجلّد ولخذ البطاقة فمزّقها ثم احرقها وخرج سائرًا الى جهة الملعب

وكان الليل دامسًا شديد الحلكة والشوارع صامتة لا يُسمع فيها غير صوت حذائهِ عند طرقهِ احجار البلاط. وما سار بعض خطوات حتى صادفهُ العسس فامسكوهُ ظنًّا منهم انهُ من روّاد الليل المتلصصين. لكنَّهُ ما كاد يقرّب احدهم من وجههِ مشعلًا ليتفرّس بهِ حتى عرفهُ واعتذر اليهِ

فواصل راسيوس سيرهُ وسمع الجند وراءهُ يضحكون من لبسهِ ذاك الرداء الاسود كأنهُ من العبيد. فأثّر ضحكهم فيهِ ولولا تسرُّعهُ في سيره لعاد اليهم ليؤدّبهم

وبعد هنيهةٍ وصل راسيوس الى السجن فوجد بازاء بابهِ قسمًا من الجند المتولين على حراستهِ محلّقين يلعبون بالكعوب وكان الباقون نائمين على الحضيض مشتملين بارديتهم لرطوبة الليل فمرَّ راسيوس قريبًا منهم حتى بلغ باب السجن. واذا بسيفٍ امامهُ معترضًا فاوقفهُ صاحبهُ قائلًا: لا يجوز المرور

فنحّى راسيوس رداءهُ وكشف عن ثوبهِ فرآهُ الحارس مُطرَّفًا بالارجوان فعرف انهُ من الضبّاط ثم حدجهُ بالنظر واذا بهِ قائد فرقتهِ السادسة عشرة التي كان هو احد جنودها. فهابهُ ورفع يدهُ الى خوذتهِ مسلّمًا ثم قال:

« سيّدي ليس لاحد ان يجوز ولكن لستُ اظنّ انَّ هذا الامر لمثلك وانت اعلم باوامر طيطس ومن اكبر اصدقائهِ »

قال هذا ثم تركهُ يدخل. وسألهُ: ومتى يخرج سيّدي ؟

— بعد برهة وجيزة. ولكن اذا خرجت مع ناظر السجن عليك بالصمت فلا تنبس بكلمةٍ

قال هذا آملًا ان يبدل ثيابهُ بثياب صموئيل فيخلّص الاسير ويفديهُ بحياته

فانفتح الباب امام راسيوس وسُمع لصريرهِ صوت عظيم ثم أُطبق من ورائهِ. فسار بعض خطوات في الظلمة حتى لاح لهُ عن بعدٍ ضوءٌ ضعيف وراء باب من خشب فدفعهُ

واذا بناظر السجن اسرع ليوقفهُ عند حدّه. وكان هذا رجلًا قبيح المنظر ازرق العينين غليظ الكتفين كثّ اللحية يُدعى نوثوس فانتهر الداخل بصوت اجشّ: مَهيم

قال راسيوس: انا ضابطٌ وآتيك بمالٍ يُغنيك. ولا اطلب منك سوى ان تدعني اقوم في سجنك مقام احد اسراك

— فقهقه نوثوس قائلًا: لا اظنُّك تعرض عليَّ هذه الصفقة الّا لتربح منها. وما غايتك من ذلك ؟

— انّما اريد خلاص رجلٍ اصطنع اليَّ معروفًا فأُجازي الخير بالخير

— وما اسمهُ ؟

— صموئيل

— آه ! صموئيل ؟ وتريد خلاص هذا الرجل الذي كان سابقًا سيّدي فعاملني اسوأ معاملة. اعلم اني انا ايضًا كنت يهوديًا مثلهُ وكان اسمي يوناثان فكنت عبدًا لصموئيل وقد اختبرتُ فظاظتهُ وشراسة طباعهِ وبخلهُ ولذلك قد جحدت دينهُ وخدمتُ الرومان. واليوم يسرُّني اني أرى هذا الشيخ الظالم بين مخالبي ملقىً على حضيض السجن يكابد الاوجاع المرّة. وعمَّا قليل سأفرحُ بموتهِ وعذابهِ على رأس الملأ. وما يزيد سروري انهُ يموت وقومهُ معهُ بازاء ابناء جلدتهِ وخصوصًا بازاء ابنتهِ يهوديت لانَّ طيطس امر بان يحضر اليهود كلُّهم هذه الألعاب ليروا جزاء العصيان على الدولة

قال نوثوس ذلك بصوت يدلُّ على ما في قلبهِ من الحزازات على سيّده. امَّا راسيوس فكاد يتميَّز غضبًا على هذا الجاحد لايمان آبائهِ المنتقم من ابناء جنسهِ ولولا خوفهُ من ان يعرّض بصموئيل للخطر لما تأخّر عن قتل ذاك العلج. وعليهِ فانهُ اظهر التبسُّم وقال لنوثوس:

— حياك الله أيُّها الناظر الامين. اعلم اني اتيتُ لاختبرك فأعلم صدق خدمتك لمولاي طيطس ولو اجبتَ الى طلبي لكنت نلتَ عقابًا عظيمًا بل لأمرتُ بالقائك للوحوش مع اسراك. والآن عشْ آمنًا

وما انتهى الضابط من كلامهِ حتى انثنى راجعًا وخرج مسرعًا لئلَّا يشيع امرهُ ويتَّضح سرُّهُ

سار راسيوس وهو يعضُّ الأرَم اذ رأى انَّ حيلتهُ لم تنجح. ولكثرة ما امضَّهُ

الامر احسّ بقواهُ قد انحلّت فجلس على دكّة وجعل رأسهُ بين يديه يفكّر في ما قسم بهِ ليهوديت انّهـا ترى في غدٍ اباها . فثارت ثوائرهُ وجرت عبراتهُ قنطاً وبقي كذلك ساعةً لا يدري ما العمل . الّا انهُ عاد الى نفسهِ قائلاً : انّ ساعة الالعاب لم تأتِ بعد فانّ امامي فسحةَ يومٍ وبعض ساعات الليل فما لي لا اسعى في طلب القائد

وبينما كانت هذه الافكار تشغل بالهُ اذا بفلاّحين من لبنـان سبقوا الصبح فاتوا بحملات من الحطب والعشب ليبيعوها في المدينة فعرض عليهم بأُجرة طيّبة ان يركبوا الخيل ويسيروا على جناح السرعة الى كلّ الجهات ليفتشوا على القـائد الاعظم بكل حرص حتى إذا ما وجدوهُ بلّغوهُ رسالةً منهُ كان اوضح لهُ فيها حاجتـهُ الماسّة الى مساعدتهِ في بلاء عظيم دهمهُ . ثم سيّرهم ووعد لاوّل من يفيدهُ بوصول الرسالة بمئـة دينار . واذا اياهُ الجواب قبل ظهر النهار يؤدي ضعف هذا المبلغ للمبشّر

تلك كانت الوسيلة الاخيرة التي التجأ اليها راسيوس فان نجحت خلص صموئيل وعاد ليهوديت هناء عيشها . فامّا اذا حبطت . . . ولكن لا بُدَّ من الفوز برغبتهِ . وذلك ما حدا بهِ الى ان يرسل الى دار الورود بطاقةً كتب فيهـا هاتين الكلمتين : « ثقي فانّ الخلاص قريب » امّا هو فلم يرد ان يحضر امام ابنة صموئيل لئلّا تقف على مساعيه الباطلة

(ستأتي البقيّة)

العاديّات العربية في القطر المصريّ

نظر للاب أ. كيس مالون اليسوعيّ مدرّس اللغة القبطيّة في مكتبنا الشرقيّ

ان كان القطر المصري غنيًا بالعاديّات النفيسة الراقيـة الى ايّام الفراعنة (راجع في المشرق ٥ : ١١٠٥ مقالة الاديب توفيق افنـدي فزّح في دار العاديّات المصريّة) فانهُ ليس باقلّ غنًى بالآثار العربيّة . والحقّ يقال انّ العرب منذ الفتح الاسلاميّ على عهد عمرو بن العاص لم يزالوا مدّة نحو الف سنةٍ يزينون تلك البلاد بالابنيـة الفخيمة منها دينيّة ومنها دنيويّة يُربي عددها على المئين وهي تنبئ كلّها بمـا كان للعرب من الغيرة في مجاراة الدول الغابرة ومن طول الباع في الهندسة